

سؤال هرقل عن أتباع النبي صلى الله عليه وسلم

..... سألته السؤال الرابع عن أتباعه: مَنْ أتباعه؟ فقال:
ضعفاؤهم.. هل ضعفاء الناس يتبعونه، أم أشرافهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم، فقال هرقل هم أتباع الرسل. وهذه سنة الله أن
الضعفاء هم الذين تلين قلوبهم، وتطمئن إلى الحق ويتبعه، وتصديق مَنْ جاء به، ذكر الله تعالى ذلك في الرسل، فهؤلاء قوم
نوح يقولون: { أَنْؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِنَّ جِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ } فأخبر
بأن أتباعه هم الأذليون، أراذل الناس، وضعافهم، وفقراؤهم، ونحو ذلك.. وفي سورة هود قال قوم نوح: { وَمَا تَرَكَ آتِبَعَكَ
إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَبْتَغُوا } يعني: ضعفاؤنا، وفقراؤنا، والصغبرون فينا، لم يتبعك الأشراف، ولم يتبعك الرؤساء والقادة والسادة،
فأجابهم بقوله: { وَمَا آتَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَأُوا رَبِّهِمْ } ثُمَّ قَالَ: { وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ }
أطردهم لأنهم إتبعوني على الحق ولو كانوا ما كانوا؟! وكذلك قوم صالح في سورة الأعراف، في قصة صالح قال الله
تعالى: { قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ أَمَنَ مِنْهُمْ اتَّعْلَمُونَ أَنْ صَلَاحًا مُرْسَلًا مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا
بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ } هكذا آمن أولئك الذين هم الضعفاء { لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا } { إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ } قَالَ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } قَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنْ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِصَالِحٍ وَلَمْ يُؤْمِنَ بِهِ الْأَكْبَرُ وَالَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا.. لماذا؟! لأن الضعفاء أقرب إلى أن ترق قلوبهم، أمّا الأشراف فَيَحْتَلُّ إِلَيْهِمْ إِذَا آمَنُوا، وقبلوا الإسلام حيل
بينهم وبين رئاستهم، وبين مناصبهم الرفيعة، وبين قياداتهم؛ لأنهم لهم قادة، ولهم أتباع، وفيهم رئاسة، وفيهم شرف، وفيهم
رفعة، فيقولون: إذا كنا أتباعًا ذهب أتباعنا، صرنا أتباعًا بعد أن كنا متبوعين، وصرنا تبعًا لغيرنا بعد أن كان الناس يتبعوننا،
فصرنا مرءوسين، بعد أن كنا رؤساء فلا يمكن أن تنصّر وأن تتواضع لغيرنا! وأن تترك شرفنا، وأن تترك منزلتنا! مع أنهم
يعرفون الحق! قال الله تعالى: { قَاتِبَهُمْ لَا يَكْذِبُونَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } . ذكر ابن كثير في تفسير قول
الله تعالى في سورة الإسراء: { نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك } ذكر أن أفرادًا من أكابر قريش كانوا يأتون
إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي في الليل، ويرفع صوته بالقرآن، فيستمعون له.. هذا يستمع من جهة، وهذا
يستمع من جهة! ثلاثة أيام وهم يستمعون، وبعضهم لا يدري بالآخر! ولكن يجتمعون في الطريق إذا رجعوا، وبعد ثلاثة أيام
اجتمع اثنان منهم وسألا، وقالوا: ما تقول فيما سمعت من محمد؟! فكأنه أعجب به، وقال: إني قد سمعت قولًا لا يشبه قول
السحرة، ولا الكهنة، ولا الشعراء، ثم إنه ذهب إلى الثالث، وهو أبو جهل وسأله: ماذا تقول فيما سمعت من محمد؟ فتكبر
أبو جهل وقال: إنا تفاعرنا نحن وبنو هاشم: أطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقيننا، وعملوا وعملنا، حتى إذا كنا وإياهم كقرسي
رهان، يعني: متساويين.. قالوا: منا نبي..! من أين أن نحصل على هذا؟! لا والله لا نصدقه أبدًا!! فتركه. فهذا أبو جهل خاف
على شرفه، يقول: إذا اتبعناهم صرنا تابعين، إذا صدقناه صرنا تابعين، بعد أن كان لنا مكانة، وكان لنا رفعة، وسقطت
منزلتنا، فهذا هو السبب الذي جعلهم لا يصدقونه. إنما صدقته ضعفاء الناس، صدقته الموالى مثل عمار بن ياسر وأبوه ياسر
وأمه وتسمى سمية وهي التي قتلت على الإسلام، وكذلك صهيب وكان قينا، يعني: حدادًا، أو صائغًا وخباب وكذلك بلال
ونحوهم من الموالى، صدقوه، ومع ذلك قد صدقته بعض أشرافهم، ولكن احتقرهم أبو سفيان قد صدقه أبو بكر وعمر وكان
عمر من أشرافهم وأشجعهم وعثمان وعلي وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وكثير من أشراف قريش،
ولكن رأى أبو سفيان أنهم ليسوا من الأشراف الذين لهم مكانة، وصدقوه؛ لأنه اتضح لهم الحق.